جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

القيم الحوارية والجوانب العقدية من مجادلات مؤمن آل فرعون

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

في العلوم الإسلامية ـ تخصص: عقيدة ومقارنة أديان

الطالب:

بلخيرات زياد

جفال يزيد

بكاكرة بوبكر

المشرف:

د:زهير بن كتفي

السنة الجامعية: 1438– 1439هـ/ 2017– 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

نهدي ثمرة عملنا إلى من فاق حنانهما كل التصورات ،وعطاؤهما تعدى كل المسافات،

و كانا لنا خير عون في الحياة ،**"والدينا الكريمين"**.

إلى الأستاذ المشرف الدكتور زهير بن كتفي ،إلى أساتذتنا الكرام الذين أناروا دروبنا بالعلم والمعرفة ،إلى كل أصدقائنا الذين عشنا معهم أحلى الذكريات ،ومرت معهم أجمل اللحظات، أحبتنا وزملائنا ، طلبة العلوم الإسلامية،

إليكم نهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

ملخص المذكرة باللغة العربية

تناولنا في دراستنا هذه مجادلات مؤمن آل فرعون ، والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة غافر ،حيث سلطنا الضوء على الجوانب العقدية التي اعتمدها هذا المؤمن في محاججة قومه من خلال ما قاله المفسرون ،ثم عرجنا إلى تفصيل منهجه وأسلوبه في حواره مع قومه ،وذلك من خلال عرض أساليب دعوته المختلفة ،حيث بدأ بدفاعه عن موسى عليه السلام بتلطف وحذر في أول الأمر ثم بصراحة وظهور في النهاية ،وعرضه في جداله مع فرعون حجج الحق وبراهينه القوية الناصعة ، محذرا إياهم يوم القيامة ،ممثلا لهم بعض المشاهد في أسلوب مؤثر مذكرا إياهم بموقفهم وموقف الأجيال قبلهم؛ من يوسف عليه السلام ورسالته ،انتهاء بعرض مآل المؤمن ونجاته ،وعاقبة قومه ،ثم ذكرنا بعض الفوائد والعبر من هذه المجادلات ،ثم أنهينا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج المستخلصة.

Abstract in English

In this study, we discussed the arguments of the believer of Pharaoh, which was mentioned in the Quran in Surat Ghafer, where he highlighted the doctrinal aspects adopted by this believer in the argument of his people through the commentators, Then we discussed the details of his method and style in his dialogue with his people, His different calling styles Where he appeared in his defense of Moses peace be upon him first and foremost. Then frankly and finally appeared and presented in his argument with Pharaoh arguments and proof of strong and spotless, warning them on the Day of Resurrection as the representative of them some scenes in an influential style, reminding them of their position and the attitude of the generations before them of Yusuf peace be upon him and his message, and ended the presentation of the money of the insured and his survival and the consequences of his people, We also mentioned some benefits and lessons of these arguments.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وفقنا لأداء أفضل الطاعات، ووفقنا على كيفية اكتساب أكمل السعادات، والصلاة على سيّدنا محمد المؤيد بأفضل المعجزات والآيات، وعلى آله وصحبه بحسب تعاقب الآيات وسلم تسليما.

وبعد:

تصور عام عن الموضوع:

لقد بيّن الله تعالى أن الموقف الغالب على الإنسان عناده و جدله فقال:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف 54].

وقد تكرر هذا الموقف وتردد كثيرا في قصص القرآن الكريم في اتجاهين اثنين: اتجاه محمود واتجاه مذموم. فكان في اتجاهه المحمود استراتيجية فعالة في الحوار وإقناع الخصوم وإبطال المزاعم وجميع أنواع الشرك والخرافات بحجج شرعية وعقلية. وقد تجسدت نماذج عديدة في حوارات القرآن الكريم مع أهل الكفر والباطل، ولذلك فالجدل المحمود أمر ضروري لاسيما عند مواجهتنا لمثل هذه الحوارات من أجل الدعوة إلى الله على بصيرة ودرجة أعلى في التثبت واليقين وقصص التي سردها الله تعالى عن حال مؤمنيه مع قومهم خير دليل على ذلك ،ومن القصص المشهورة قصة جدال مؤمن آل فرعون مع قومه التي تمثل حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل، فهو صراع واحد لكن الأسماء تختلف وتختلف معه شبهات الطغاة والجبابرة المتكبرين في الأرض بغير الحق ،الحمد لله أنها نهاية واحدة وهي انتصار الحق وزوال الباطل وأهله ،تروي أحداث هذه القصة عن رجل مؤمن صادق الإيمان قوي الحجة يدعو إلى الله عز و جل بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاءت في قوله تعالى﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل125].

أهمية الموضوع:

- مجادلات مؤمن آل فرعون تعتبر من القصص القرآني الذي يعد من أهم مباحث القرآن الكريم ،الذي يهدف إلى التوحيد والإيمان بالآخرة والنبيئين .

- تكمن أهمية ومكانة هذا الموضوع في حياة كل مسلم وذلك أن مثل هاته القصص القرآنية أنزلها الله رحمة للمؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ،وتثبيت قلوبهم على الحق وإبعاد الريب والشك عن الصدور من خلال سرد وقائع ونماذج حية تواجه الباطل وكيف تتعامل معه والطرق والوسائل التي أدت إلى توفيق الله لمثل هؤلاء الأشخاص من دحض الباطل وكسر شوكة الطواغيت.

فإذا تدبر المؤمن في هذه القصة وتمعن فيها يجد فيها قصة هذه الدنيا بأسرها وما تؤول إليه من زوال وفوز المؤمنين بالجنة وفلاحهم الأبدي في الآخرة وخسارة الكافرين في النار وهلاكهم في الدنيا والآخرة ،فدفعنا الفضول أكثر بهذه الأهمية للغوص عمقا مع المجادلات التي دارت مع مؤمن آل فرعون وقومه.

إشكالية الموضوع:

إن التساؤلات التي يدور حولها موضوع بحثنا هو: ما هي مسالك الحوار التي انتهجها في مجادلاته مع قومه ؟ و ما هو الأسلوب الحواري الذي اتجه إليه المؤمن الصادق ؟وهل اشتمل على قيم و مبادئ ؟ و هل تضمنت مقاصد وأهداف عقدية؟ إضافة إلى ذلك ما هي الفوائد والعبر من مجادلات مؤمن آل فرعون ؟

أسباب الاختيار :

من الأسباب التي حملتنا على اختيار الموضوع هي :

-أهمية الموضوع في حد ذاته دفعنا لدراسته .

- اشتماله على القصة القرآنية التي تعتبر لها عبر ومغزى للمسلم .

الدراسات السابقة

وجدنا دراستين تقارب موضوع بحثنا هما:

- رسالة ماجستير ،الدعوة في سورة غافر ،للباحثة أحلام محمد سعيد باحمدان حيث تناولت الباحثة موضوع أساليب ومبادئ الدعوة إلى الله على ضوء سورة غافر.
- الجوانب العقدية و القيم الحوارية في مجادلات الخليل عليه السلام، خالد إبراهيم أحمد حسب الله ،حيث تطرق الباحث إلى مناقشة العقائد و أساليب الحوار التي انتهجها الخليل عليه السلام في محاوراته مع قومه .

أهداف الموضوع

من الأهداف المسطرة في هذه الدراسة:

1-التسلح بالعلم والعقيدة الصحيحة والتقرب من فهم النص القرآني .

2-المساهمة في توضيح الأسلوب والمنهج السليم للحوار والدعوة .

3-الإقتداء بهذا الرجل المؤمن في أسلوبه وطرحه للقضايا العقدية .

منهج الدراسة:

المنهج المتبع استقرائي وصفي ،فالمنهج الاستقرائي استقراء كتب التفسير لهذه المجادلات التي ذكرت في القرآن الكريم والمنهج الوصفي في التعريف بالرجل المؤمن و توظيف المعلومات المستنبطة وجمعها بطريقة علمية ومنهجية.

خطة البحث:

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحث تمهيدي إضافة إلى ثلاث مباحث رئيسية وخاتمة ،حيث تطرقنا في المقدمة إلى تعريف بالموضوع وأخذ لمحة عامة وفكرة تصورية شاملة، ثم إلى مدى أهمية الموضوع ويليه طرح الإشكاليات المثارة فيه وأهم الدراسات السابقة ،وفي المبحث الأول الذي تضمن الجوانب العقدية قد احتوى على ثلاث مطالب، المطلب الأول معنون بالإلهيات والمقصود جانب العبادة والعبودية الحق للمعبود الرب، والمطلب الثاني النبوءات الذي تمحور على الرسل والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القصة والثالث والأخير جاء بعنوان الغيبيات وفيه سرد مؤمن آل فرعون لوقائع غيبية من ترغيب وترهيب والمبحث الثاني تضمن الجوانب الحوارية وأساليبها ،فجاءت في مطلبين الأول مسالك حوار مؤمن آل فرعون والثاني أساليب الدعوة التي انتهجها في دعوتهم للحق ودحض وبطلان مزاعم فرعون وقومه ،والمبحث الثالث والأخير الذي فيه العبر والحكم المستنبطة وقسمناه إلى مطلبين ،مطلب الأول الحكم الأخلاقية والمطلب الثاني الحكم العقائدية المستنبطة من المجادلات ،وأخيرا وليس آخرا خاتمة البحث التي فيها حوصلة البحث والإجابة على الأسئلة السابقة .

المبحث التمهيدي

التعريف بمصطلحات الموضوع

المطلب الأول: مفهوم العقيدة والحوار والمجادلة

المطلب الثاني: التعريف بمؤمن آل فرعون

في هذا المبحث نقف وقفة بين يدي بحثنا نطل من خلاله إطلالة على أهم مفردات التي حملها عنوانه ،للكشف عن مضامينها ونلقي الضوء على معانيها ودلالاتها، ليسهل على القارئ التعرف على المراد بالعقيدة والحوار والمجادلة ،وبعد ذلك نقوم بالتعريف بمؤمن آل فرعون الذي يدور البحث حول حواره ومجادلاته مع قومه

المطلب الأول :مفهوم العقيدة والحوار والمجادلة

أ- معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح :

1- في اللغة :كلمة عقيدة مشتقة من (عقد) و العين و القاف و الدال – كما يقال ابن فارس أصل واحد يدل على شَدٍّ و شِدَّةٍ وثق و من ذلك عقد البناء وعقدت الحبل أعقده عقدا وقد انعقد و تلك هي العقدة ، و عاقدته مثل عاهدته و هو العقد ، و الجمع عقود ، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة /1]،و عقد قلبه على كذا فلا ينزع عنه . واعتقد الشيء : صَلُبَ، و يبدو أن هذه اللفظة استخدمت في مدلولات حسية ثم نقلت إلى مدلولات معنوية ، يقول الراغب الأصفهاني في معنى عقد : العقد الجمع بين أطراف الشيء و يستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل و عقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو عقد البيع و العهد و غيرهما فيقال : عاقدته و عقدته و تعاقدنا و عقدت يمينه ، و منه قيل لفلان عقيدة ، و قيل للقلادة عقدٌ .[1]

فكلمة عقيدة من حيث الاشتياق اللغوي تدل على معنى عام و هو ما يعقده الإنسان من التصميم و العزم ، فكأن العقيدة هي العهد المشدود و العروة الوثقى ، و ذلك لاستقرارها ورسوخها في الأعماق ، ويمكننا توضيح ذلك بالقول بأننا نعتقد بوجود أشياء كثيرة من ذوات وصفات ، ونجد قلوبنا مطمئنة بما نعتقد به ليس فيها أدنى شك ، كاعتقادنا بوجود ذواتنا وصفاتها ، و كاعتقادنا بوجود أشياء كثيرة من حولنا في الأرض و السماء ، ولو جاءنا

[1] القيم الحوارية والجوانب العقدية في مجادلات الخليل ،خالد إبراهيم حسب الله ،د مجلة الشريعة والقانون ، الإمارات ،ط1،2008م ص7.8 .

الناس كلهم يحاولون تشكيكنا فيما نعتقد به لم يؤثر بنا أي أثر ،ذلك لأن علمنا بهذه الأشياء تحول من ساحة الإدراك الحسي إلى خزانة العلم والمعرفة في عقولنا، ثم بمرور الزمن و توارد الشواهد و الأدلة التي تصدق علمنا، يتغلغل علمنا هذا في خزائن علومنا و معارفنا إلى أعمق المراكز و أثبتها في داخلنا، وعند ذلك يكون علما راسخ الأسس ثابت البنيان متين القواعد .

فالعقيدة إذن ما رسخ في العقل أو انعقد عليه القلب و صدق به ، و أصبح يقينا عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك ، و هي بهذا المعنى اللغوي العام تعني ما يدين به المرء ينعقد عليه فؤاده من الإيمان بحقيقة معينة إيمانا قطعيا لا يقبل الزعزعة أو الشك .

و تختلف هذه العقيدة بحسب ما يعتقده الإنسان و يؤمن به ، و من هنا قيل إن عقيدة الإنسان هي مذهبه أي هي ما يؤمن به و يراه عن اقتناع قلبي أكيد ، و قد تكون هذه العقيدة دينية يؤمن معتقدها بأفكار وآراء و تصورات معينة تتصل بالله تعالى و ملائكته و كتبه ورسوله كما تتصل بالحياة الدنيا و الحياة الآخرة ، و قد تكون عقيدة سياسية أو اقتصادية ..إلخ، وقد تكون هذه العقيدة مبنية على العقل و المنطق و قد تكون مبنية على الخرافة و الوهم وقد تكون متفقة مع جوهر الدين و قد تكون مناقضة له.[1]

ومن ثم فإن العقيدة بالمعنى اللغوي العام قد تكون صادقة و قد تكون عقيدة باطلة فاسدة ، لأن معنى اعتقدت كذا يعني : جزمت به في قلبي ، فهو حكم الذهن الجازم ، فإن طابق الواقع فصحيح ، و إن خالف الواقع ففاسد فاعتقادنا أن الله : إله واحد صحيح ، و اعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل ، لأنه مخالف للواقع ووجه ارتباط معنى العقيدة بالاشتقاق اللغوي الذي اشتقت منه الكلمة ظاهر; لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقده عليه و شده عليه بحيث لا ينفلت منه .

2في الاصطلاح : مجموعة من قضايا الحق المسلمة بالعقل و السمع و الفطرة ، يعقد عليها الإنسان قلبه ، و يثني عليها صدره جازما بصحتها ، قاطعا بوجودها و ثبوتها ، لا يرى خلافها

[1] خالد إبراهيم حسب الله ،مرجع نفسه ،ص7-8.

يصح أو يكون أبدا ، و ذلك كاعتقاد الإنسان بوجود خالقه و علمه به و قدرته عليه و لقائه بعد موته ... إلخ .

أو هي كما يقول الشيخ شلتوت : الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا و قبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة ، و من طبيعتها تضافر النصوص الواضحة على تقريرها ، و إجماع المسلمين عليها من يوم أن ابتدأت الدعوة مع ما حدث بينهم من اختلاف بعد ذلك وراءها ، و هي أول ما دعا إليه الرسول ﷺ.[1]

ب–مفهوم الحوار :

تعارف الناس فيما بينهم على أنواع من التخاطب الإنساني كالحوار والمناظرة والجدال بغرض التعارف وتفهم وجهة نظر الآخرين وتبادل الرؤى والأفكار.

1–في اللغة:فهي مشتقة من "حور "الحَور الرجوع عن الشيء وإلى شيء حارَ إلى الشيء وعنه حَوراً و مَحاراً و مَحارةً و حُؤوراً، رجع عنه وإليه ، حؤور فأسكن الواو الأولى وحذفها لسكونها وسكون الثانية بعدها قال الأزهري، ولا صلة في تراجع الكلام، وفي لسان العرب: (وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة).

2–في الاصطلاح :هو تجاذب أطراف الكلام حول موضوع معين للوصول إلى هدف محدد ،ويمثل الحوار متغيرا أسلوبيا عبر وجود عدد من القرائن المتعددة والمختلفة في إنتاج المادة اللغوية،فهو بوصفه تركيبا له أهمية أسلوبية ولغوية ،فهو إن كان على شكل قصة دار فيها الحوار بين أطراف متعددة فهو أسلوب قرآني الهدف من استعماله تقريب الصورة والفكرة بطريقة الحوار .[2]

[1] خالد إبراهيم حسب الله ،مرجع نفسه،ص9.

[2] خصائص الحوار في القرآن الكريم ،د.سمير داود سلمان، بحوث ومقالات ،جامعة البصرة ،ط1 ،2013م ص40

ج–تعريف الجدل :

1–في اللغة :هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها ،يقال : جادله مجادلة وجدالا :أي خاصمه ، والاسم الجدل ، وهو شدة الخصومة ،وقيل مقابلة الحجة بالحجة والمجادلة والمناظرة والمخاصمة.

في الاصطلاح :هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وقيل : الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة .[1]

المطلب الثاني : التعريف بمؤمن آل فرعون

اسمه :يعد اسم مؤمن آل فرعون من مبهمات القرآن، حيث إن الله تعالى لم يذكر شيئا عن اسمه ولا أفصح عن نسبه، غير أن بعض المفسرين لاسيما الذين عنوا ببيان مبهمات القرآن، ذكروا أن اسمه شمعان بفتح الشين المعجمة وسكون الميم. قال البلنسي : هو أصح ما قيل فيه، وقيل إن اسمه خير وقيل: حبيب، وقيل: حزقيل، وقيل جزئيل، وقال الآلوسي خربيل بخاء معجمة مكسورة وراء مهملة ساكنة، وقيل: حزبيل بحاء مهملة وزاي معجمة، وقيل غير ذلك.[2]

نسبه :فالصحيح أنه كان قبطيا وليس إسرائيليا وقد ورد ذلك عن الحسن والسدي، ورجحه الإمام ابن جرير الطبري، حيث قال رحمه الله تعالى بعد أن نقل القولين: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، واستدل على ذلك بأن فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقيله ما قال، وقال له: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾،

---

[1] الحوار في القرآن الكريم ،معن محمود عثمان ضمرة، ماجستير، كلية أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ،فلسطين 2005،ص8.

[2] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،موضوع لم يذكر اسم صاحبه ، أخذناه 2018/04/20على الساعة 14:20من موقع المنتدى العالمي للوسطية على الشبكة العنكبوتية http://www.wasatyea.net/?q=ar/content

وقال ابن جرير :ولو كان إسرائيليا لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له ولملأه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا؟ ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قوله، وكف عما كان همّ به في موسى عليه السلام.

ولعل ما ذهب إليه ابن عاشور رحمه الله تعالى هو الراجح، لعدم قيام الدليل على تحديد نوع القرابة أو المنزلة، غير أنه لا بد أن تكون له علاقة بفرعون، وأنه من المقربين منه، ومن خاصته، بدليل استماعه له، وإصغائه إليه، حيث إن مثل هذا الحوار لا يستطيعه عموم الناس.[1]

وتظهر الآيات القرآنية التي تحدثت عن مؤمن آل فرعون قوة شخصيته ومكانته ففيها بيان لإصطفاء الله له، والذي يهمنا التركيز على من كل هذه الجوانب العظيمة في حياة وشخصية مؤمن آل فرعون هو أسلوبه الدعوي الذي واجه به قومه وما كانوا عليه من باطل ،والذي اعتمد بشكل أساسي على الحوار والجدال بالتي هي أحسن بغرض إعلاء كلمة الله .

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق.

المبحث الأول

الجوانب العقدية من مجادلات مؤمن آل فرعون

المطلب الأول : الإلهيات

المطلب الثاني : النبوءات

المطلب الثالث : الغيبيات

تتحدث العقيدة كما هو معلوم عن الإلهيات والنبوءات والغيبيات وعلى هذا سيكون التقسيم للمطالب الرئيسية للمبحث.

المطلب الأول: الإلهيات

جادل المؤمن قومه أي آل فرعون وركز على التوحيد وإبطال إلوهية فرعون والاستفهام في أتقتلون استفهام إنكار، أي يقبح بكم أن تقتلوا نفسا لأنه يقول ربي الله، أي ولم يجبركم على أن تؤمنوا به ولكنه قال لكم قولا فاقبلوه أو ارفضوه، فهذا محمل قوله: أن يقول ربي الله وهو الذي يمكن الجمع بينه وبين كون هذا الرجل يكتم إيمانه.

وأن يقول. مجرور بلام التعليل المقدرة لأنها تحذف مع (أن) كثيرا. وذكر اسم الله لأنه الذي ذكره موسى ولم يكن من أسماء آلهة القبط.

وأما قوله: وقد جاءكم بالبينات من ربكم فهو ارتقاء في الحجاج بعد أن استأنس في خطاب قومه بالكلام الموجه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعلة أنه جاء بالبينات، أي الحجج الواضحة بصدقه، وإلى التصريح بأن الذي سماه الله في قوله: أن يقول ربي الله هو رب المخاطبين فقال: من ربكم. فجملة وقد جاءكم بالبينات من ربكم في موضع الحال من قوله: رجلا والباء في بالبينات للمصاحبة.[1].

وقوله: وإن يك كاذبا فعليه كذبه رجوع إلى ضرب من إيهام الشك في صدق موسى ليكون كلامه مشتملا على احتمالي تصديق وتكذيب يتداولهما في كلامه فلا يؤخذ عليه أنه مصدق لموسى بل يخيل إليهم أنه في حالة نظر وتأمل ليسوق فرعون وملأه إلى أدلة صدق موسى بوجه لا يثير نفورهم، فالجملة عطف على جملة وقد جاءكم بالبينات فتكون حالا.

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر – تونس 1984، ج 24،ص129-130.

وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن ذلك الاستنكار، وذلك لأنه ما زاد على أن قال: ربي الله وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة وقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يحتمل وجهين الأول: أن قوله ربي الله إشارة إلى التوحيد، وقوله وقد جاءكم بالبينات إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد.

إلى آخر الآيات، ثم ذكر ذلك المؤمن حجة ثانية في أن الإقدام على قتله غير جائز وهي حجة مذكورة على طريقة التقسيم، فقال إن كان هذا الرجل كاذبا كان وبال كذبه عائدا عليه فاتركوه وإن كان صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم، فثبت أن على كلا التقديرين كان الأولى إبقاؤه حيا.

فإن قيل السؤال على هذا الدليل من وجهين الأول: أن قوله وإن يك كاذبا فعليه كذبه معناه أن ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه، وهذا الكلام فاسد لوجوه أحدها: أنا لا نسلم أن بتقدير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه، لأنه يدعو الناس إلى ذلك الدين الباطل، فيغتر به جماعة منهم، ويقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد، ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت أن بتقدير كونه كاذبا لم يمكن ضرر كذبه مقصورا عليه، بل كان متعديا إلى الكل، ولهذا السبب العلماء أجمعوا على أن الزنديق الذي يدعو الناس إلى زندقته يجب قتله وثانيها: أنه إن كان الكلام حجة له، فلا كذاب إلا ويمكنه أن يتمسك بهذه الطريقة، فوجب تمكن جميع الزنادقة والمبطلين من تقرير أديانهم الباطلة وثالثها: أن الكفار الذين أنكروا نبوة موسى عليه السلام وجب أن لا يجوز الإنكار عليهم.[1]

وقدم احتمال كذبه على احتمال صدقه زيادة في التباعد عن ظنهم به الانتصار لموسى فأراد أن يظهر في مظهر المهتم بأمر قومه ابتداء.

ومعنى: وإن يك كاذبا فعليه كذبه استنزالهم للنظر، أي فعليكم بالنظر في آياته ولا تعجلوا بقتله ولا باتباعه فإن تبين لكم كذبه فيما تحداكم به وما أنذركم به من مصائب فلم يقع شيء من ذلك لم يضركم ذلك شيئا وعاد كذبه عليه بأن يوسم بالكاذب، وإن تبين لكم صدقه يصبكم

---

[1]مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)دار إحياء التراث العربي ،بيروتط3- 1420 هـ،ج27،ص509

بعض ما توعدكم به، أي تصبكم بوارقه فتعلموا صدقه فتتبعوه، وهذا وجه التعبير ب بعض دون أن يقول: يصبكم الذي يعدكم به. والمراد بالوعد هنا الوعد بالسوء وهو المسمى بالوعيد. أي فإن استمررتم على العناد يصبكم جميع ما توعدكم به بطريق الأولى.

وقد شابه مقام أبي بكر الصديق مقام مؤمن آل فرعون إذ آمن بالنبيء صلى الله عليه وسلم حين سمع دعوته ولم يكن من آله، ويوم جاء عقبة بن أبي معيط إلى النبيء صلى الله عليه وسلم (والنبيء صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة) يخنقه بثوبه فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكب عقبة ودفعه وقال﴿ أَنَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾[غافر/28].[1]

وأقول: كان أبو بكر أقوى يقينا من مؤمن آل فرعون لأن مؤمن آل فرعون كتم إيمانه وأبو بكر أظهر إيمانه.

وجملة إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يجوز أنها من قول مؤمن آل فرعون، فالمقصود منها تعليل قوله: وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي لأن الله لا يقره على كذبه فإن كان كاذبا على الله فلا يلبث أن يفتضح أمره أو يهلكه، كما قال تعالى﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾[الحاقة: 44- 46] لأن الله لا يمهل الكاذب عليه، ولأنه إذا جاءكم بخوارق العادات فقد تبين صدقه لأن الله لا يخرق العادة بعد تحدي المتحدي بها إلا ليجعلها أمارة على أنه مرسل منه لأن تصديق الكاذب محال على الله تعالى.

ومعنى: يصبكم بعض الذي يعدكم أي مما توعدكم بوقوعه في الدنيا، أو في الآخرة وكيف إذا كانت البينة نفسها مصائب تحل بهم مثل الطوفان والجراد وبقية التسع الآيات.

و إن يكن صادقا انتفعتم بصدقه، فثبت أن هذا الطريق يوجب تصويب ضده، وما أفضى ثبوته إلى عدمه كان باطلا.

السؤال الثاني: أنه كان من الواجب أن يقال وإن يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لأن الذي يصيب في بعض ما يعد دون البعض هم أصحاب الكهانة والنجوم، أما الرسول الصادق الذي لا يتكلم إلا بالوحي فإنه يجب أن يكون صادقا في كل ما يقول فكان قوله يصبكم

[1] التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ،ج24،ص 130.

بعض الذي يعدكم غير لائق بهذا المقام والجواب: عن الأسئلة الثلاثة بحرف واحد وهو أن تقدير الكلام أن يقال إنه لا حاجة بكم في دفع شره إلى قتله بل يكفيكم أن تمنعوه عن إظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فإن كان كاذبا فحينئذ لا يعود ضرره إلا إليه، وإن يك صادقا انتفعتم به، والحاصل أن المقصود من ذكر ذلك التقسيم بيان أنه لا حاجة إلى قتله بل يكفيكم أن تعرضوا عنه وأن تمنعوه عن إظهار دينه فبهذا الطريق تكون الأسئلة الثلاثة مدفوعة السُّؤَالُ الثَّانِي[1].

المطلب الثاني: النبوءات

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥ ﴾[غافر 34-35]،واعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال:﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ [غافر 33]،ذكر لهذا مثلا، وهو أن يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا على الشك والشبهة، ولم ينتفعوا بتلك الدلائل، وهذا يدل على أن من أضله الله فما له من هاد وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قيل إن يوسف هذا هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ونقل صاحب «الكشاف» أنه يوسف بن أفراييم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نيفا وعشرين سنة، وقيل إن فرعون موسى هو فرعون يوسف بقي حيا إلى زمانه وقيل فرعون آخر، والمقصود من الكل شيء واحد وهو أن يوسف جاء قومه بالبينات، وفي المراد بها قولان الأول: أن المراد بالبينات قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، والثاني: المراد بها المعجزات، وهذا أولى، ثم إنهم بقوا في نبوته شاكين مرتابين،

[1] التحرير والتنوير مرجع السابق ،ج:27. ص 510.

ولم ينتفعوا البتة بتلك البينات، فلما مات قالوا إنه لن يبعث الله من بعده رسولا وإنما حكموا بهذا الحكم على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان، بل إنما ذكروا ذلك ليكون ذلك أساسا لهم في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعد ذلك وليس في قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا لأجل تصديق رسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وإنما هو تكذيب لرسالة من هو بعده مضموما إلى تكذيب رسالته، ثم قال: كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي مثل هذا الضلال يضل الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه، قال الكعبي هذه الآية حجة لأهل القدر لأنه تعالى بين كفرهم، ثم بين أنه تعالى إنما أضلهم لكونهم مسرفين مرتابين، فثبت أن العبد ما لم يضل عن الدين، فإن الله تعالى لا يضله،ثم بين تعالى ما لأجله بقوا في ذلك الشك والإسراف فقال: الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أي بغير حجة، بل إما بناء على التقليد المجرد، وإما بناء على شبهات خسيسة كبر مقتا عند الله والمقت هو أن يبلغ المرء في القوم مبلغا عظيما فيمقته الله ويبغضه ويظهر خزيه وتعسه[1].

وتوسم فيهم قلة جدوى النصح لهم وأنهم مصممون على تكذيب موسى فارتقى في موعظتهم إلى اللوم على ما مضى، ولتذكيرهم بأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف لما جاءهم بالبينات فتكذيب المرشدين إلى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم فتكون سجية فيهم.

وتأكيد الخبر ب (قد) ولام القسم لتحقيقه لأنهم مظنة أن ينكروه لبعد عهدهم به، فالمجيء في قوله: جاءكم مستعار للحصول والظهور والباء للملابسة، أي ولقد ظهر لكم يوسف ببينات. ولا يلزم أن يكون إظهار البينات مقارنا دعوة إلى شرع لأنه لما أظهر البينات وتحققوا مكانته كان عليهم بحكم العقل السليم أن يتبينوا آياته ويستهدوا طريق الهدى والنجاة، فإن الله لم يأمر يوسف بأن يدعو فرعون وقومه، لحكمة لعلها هي انتظار الوقت والحال المناسب الذي إدخره الله لموسى عليه السلام.

[1] مفاتيح الغيب ،المرجع السابق ،ج:27 ،ص513

البينات : الدلائل البينة المظهرة أنه مصطفى من الله للإرشاد إلى الخير، فكان على كل عاقل أن يتبع خطاه ويترسم آثاره ويسأله عما وراء هذا العالم المادي، بناء على أن معرفة الوحدانية واجبة في أزمان الفترات: إما بالعقل، أو بما تواتر بين البشر من تعاليم الرسل السابقين على الخلاف بين المتكلمين.

والبينات: إخباره بما هو مغيب عنهم من أحوالهم بطريق الوحي في تعبير الرؤى، وكذلك آية العصمة التي انفرد بها من بينهم وشهدت له بها امرأة العزيز وشاهد أهلها قال تعالى﴿ **وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ** ﴾[يوسف- 45]، فكانت دلائل نبوءة يوسف واضحة ولكنهم لم يستخلصوا منها استدلالا يقتفون به أثره في صلاح آخرتهم، وحرصوا على الانتفاع به في تدبير أمور دنياهم فأودعوه خزائن أموالهم وتدبير مملكتهم، فقال له الملك:**قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ** ﴾[يوسف: 54] . ولم يخطر ببالهم أن يسترشدوا به في سلوكهم الديني. فإن قلت: إذا لم يهتدوا إلى الاسترشاد بيوسف في أمور دينهم وألهاهم الاعتناء بتدبير الدنيا عن تدبير الدين فلما ذا لم يدعهم يوسف إلى الاعتقاد بالحق واقتصر على أن سأل من الملك: **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ **قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥** ﴾[يوسف: 55].[1]

قلت: لأن الله لم يأمره بالدعوة للإرشاد إلا إذا سئل منه ذلك لحكمة كما علمت آنفا، فأقامه الله مقام المفتي والمرشد لمن استرشد لا مقام المحتسب المغير للمنكر، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فلما أقامه الله كذلك وعلم يوسف من قول الملك: إنك اليوم لدينا مكين أمين أن الملك لا يريد إلا تدبير مملكته وأمواله، لم يسأله أكثر مما يفي له بذلك. وأما وجوب طلبهم المعرفة والاسترشاد منه فذلك حق عليهم، فمعنى: فما زلتم في شك مما جاءكم به الانحاء على أسلافهم في قلة الاهتمام بالبحث عن الكمال الأعلى وهو الكمال النفساني باتباع الدين القويم، أي فما زال أسلافكم يشعرون بأن يوسف على أمر عظيم من الهدى غير مألوف لهم ويهرعون إليه في مهماتهم ثم لا تعزم نفوسهم على أن يطلبوا منه الإرشاد في أمور الدين. فهم

[1] التحرير والتنوير، مرجع سابق ،ج24 ،ص 139.

من أمره في حالة شك، أي كان حاصل ما بلغوا إليه في شأنه أنهم في شك مما يكشف لهمعن واجبهم نحوه فانقضت مدة حياة يوسف بينهم وهم في شك من الأمر.

وحتى للغاية وغايتها هو مضمون الجملة التي بعدها وهي جملة: إذا هلك، وإذا هنا اسم لزمان المضي مجرورة ب (حتى) وليست بظرف، أي حتى زمن هلاك يوسف قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولا، أي قال أسلافكم في وقت وفاة يوسف: لا يبعث الله في المستقبل أبدا رسولا بعد يوسف، يعنون: أنا كنا مترددين في الإيمان بيوسف فقد استرحنا من التردد فإنه لا يجيء من يدعي الرسالة عن الله من بعده، وهذا قول جرى منهم على عادة المعاندين والمقاومين لأهل الإصلاح والفضل أن يعترفوا بفضلهم بعد الموت تندما على ما فاتهم من خير كانوا يدعونهم إليه.

وفيه ضرب من المبالغة في الكمال في عصره كما يقال: خاتمة المحققين، وبقية الصالحين، ومن لا يأتي الزمان بمثله، وحاصله أنهم كانوا في شك من بعثة رسول واحد، وأنهم أيقنوا أن من يدعي الرسالة بعده كاذب فلذلك كذبوا موسى.[1]

ومقالتهم هذه لا تقتضي أنهم كانوا يؤمنون بأنه رسول ضرورة أنهم كانوا في شك من ذلك وإنما أرادوا بها قطع هذا الاحتمال في المستقبل وكشف الشك عن نفوسهم وظاهر هذه الآية أن يوسف كان رسولا لظاهر قوله: قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أن رسولا محال من ضمير من بعده. والوجه أن يكون قوله: رسولا مفعول يبعث وأنه لا يقتضي وصف يوسف به فإنه لم يرد في الأخبار عده في الرسل ولا أنه دعا إلى دين في مصر وكيف والله يقول: ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله ولا شك في أنه نبيء إذا وجد مساغا للإرشاد أظهره كقوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ ﴾ وقوله: ﴿ تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ

[1] التحرير والتنوير ،مرجع نفسه ،ص140.

وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[يوسف: 39، 40].[1]

المطلب الثالث: الغيبيات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[غافر 29-33]،أعقب تخويفهم بعقاب الدنيا الذي حل مثله بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم بأن خوفهم وأنذرهم عذاب الآخرة عاطفا جملته على جملة عذاب الدنيا.

وأقحم بين حرف العطف والمعطوف نداء قومه للغرض الذي تقدم آنفا.عقب تخويفهم بعقاب الدنيا الذي حل مثله بقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم بأن خوفهم وأنذرهم عذاب الآخرة عاطفا جملته على جملة عذاب الدنيا.

من كلمات هذا المؤمن قوله ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد وفيه مسائل:

المسألة الأولى: التنادي تفاعل من النداء، يقال تنادى القوم، أي نادى بعضهم بعضا، والأصل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل، وذكرنا ذلك في يوم التلاق وأجمع المفسرون على أن يوم التناد يوم القيامة، وفي سبب تسمية ذلك اليوم بذلك الاسم وجوه الأول: أن أهل النار ينادون أهل الجنة، وأهل الجنة ينادون أهل النار، كما ذكر الله عنهم في سورة الأعراف ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الثاني: قال الزجاج: لا يبعد أن يكون السبب فيه قوله تعالى: يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ، الثالث: أنه ينادي بعض

[1] التحرير والتنوير ،مرجع نفسه ،ص140.

الظالمين بعضا بالويل والثبور فيقولون يا ويلنا، الرابع: ينادون إلى المحشر، فيزداد أهل الجنة فرحا على فرحهم، وأهل النار حزنا على حزنهم الثامن: قال أبو علي الفارسي: التنادي مشتق من التناد، من قولهم ند فلان إذا هرب، وهو قراءة ابن عباس وفسرها، فقال يندون كما تند الإبل، ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ ﴾[عبس: 34].

وقوله تعالى بعد هذه الآية يوم تولون مدبرين لأنهم إذا سمعوا زفير النار يندون هاربين، فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا ملائكة صفوفا، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه.[1]

المسألة الثانية: انتصب قوله يوم التناد لوجهين أحدهما: الظرف للخوف، كأنه خاف عليهم في ذلك اليوم، لما يلحقهم من العذاب إن لم يؤمنوا والآخر أن يكون التقدير إني أخاف عليكم عذاب يوم التناد وإذا كان كذلك كان انتصاب يوم انتصاب المفعول به، لا انتصاب الظرف، لأن إعرابه إعراب المضاف المحذوف، ثم قال: يوم تولون مدبرين وهو بدل من قوله يوم التناد عن قتادة: منصرفين عن موقف يوم الحساب إلى النار، وعن مجاهد: فارين عن النار غير معجزين، ثم أكد التهديد فقال: ما لكم من الله من عاصم ثم نبه على قوة ضلالتهم وشدة جهالتهم فقال: ومن يضلل الله فما له من هاد.

يوم التناد هو يوم الحساب والحشر، سمي يوم التناد لأن الخلق يتنادون يومئذ: فمن مستشفع ومن متضرع ومن مسلم ومهنىء ومن موبخ ومن معتذر ومن آمر ومن معلن بالطاعة ومن بديع البلاغة ذكر هذا الوصف لليوم في هذا المقام ليذكرهم أنه في موقفه بينهم يناديهم ب :يا قوم، ناصحا ومريدا خلاصهم من كل نداء مفزع يوم القيامة، وتأهيلهم لكل نداء سار فيه.[2]

---

[1] مفاتيح الغيب ،مرجع السابق، ج27،ص512.

[2] مفاتيح الغيب ،مرجع السابق، ج27،ص523.

المبحث الثاني

القيم الحوارية من مجادلات مؤمن آل فرعون

المطلب الأول :مسالك حوار مؤمن آل فرعون

المطلب الثاني: أساليب حوار مؤمن آل فرعون

القرآن الكريم كتاب تربية وتعليم ،وتعليم وتهذيب ،يهدي لأقوم طريق وأحسن سبيل قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[الإسراء/9]،وهو فرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال وقد تنوعت أساليب القرآن في الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره فيما يفكر به من قضايا العقيدة والحياة لينتفع بالفكرة الحق التي ترتبط بالله ،وبالطريق الحق الذي يصل بالإنسان إلى الله، و كان من بين الأساليب في الإقناع والهداية ،المحاورات والمناظرات والمجادلات التي تنوعت في موضوعها والمشاركين فيها ن ولا نبالغ إذا ما قلنا إن الحوار يشكل محورا أساسيا في أبنيته ومضامينه وممارساته نظريا وعمليا حيث اهتم الإسلام بالحوار اهتماما كبيرا باعتبار هذا الدين خاتما للأديان واستمرار لها، لذلك وضع للحوار أساسا راسخا وبنيانا شامخا ،وقام له كيانا سامغا وشأنا رفيعا[1].

وقد قص علينا القرآن الكريم الحوار الذي دار بين مؤمن آل فرعون وقومه و إن من حكمة هذا الرجل أن يكتم إيمانه حيث يرى ان كتمه هو الأفضل ،ويعلنه حيث يرى أن إعلانه هو الأفضل، فحواره مع فرعون وقوم هذا جرأة وشجاعة، وصدق وإخلاص، فإن هذه الصفات إنما عرفت من حواره مع قومه، وهي التي نعرضها بنوع من التفصيل كما جاءت في الآيات الكريمة. ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[غافر/28]، ولقد تنوعت مسالك الاستدلال عند هذا المؤمن[2]، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المبحث من خلال المطلبين التاليين :

[1] خالد إبراهيم أحمد حسب الله ،مرجع سابق، ص 20-21.

[2] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق.

المطلب الأول: مسالك حوار مؤمن آل فرعون

أولا:مسلك التشكيك :وبها ابتدأ الحوار حيث قال كما حكاه الله تعالى عنه:﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾،إنه استفهام إنكاري، أي ما الذي يدعوكم إلى قتل رجل يقول ربي الله؟ فأن كما يقول أهل العربية في موضع نصب بنزع الخافض، أي لأن يقول ربي الله تقتلوه؟ إنه يؤمن بإله غير آلهتكم، فدعوه وما هو عليه، ما دام لم يسلك معكم مسلك القهر والجبر، فدعوه و إلهه وتأملوا فيما يقول، فإن قبلتم وإلا فارفضوا قوله، أما أن تقتلوه بمجرد أن يقول ربي الله فإن ذلك لا يليق بكم ولا يصح منكم، إنه يشككهم في تكذيب موسى عليه السلام.

ومن شأن هذا الكلام أن يحفز فكر العاقل للتأمل، وفي الوقت نفسه فيه لفت الأنظار إلى أن هناك إلها غير فرعون، اسمه الله آمن به موسى فهو يدعو إليه، فهو كما يقول الزمخشري استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم . والرجل في هذا متكتم على إيمانه كما هو ظاهر ، ولذا فإنهم لم يشكوا في تشكيكه هذا.[1]

ثانيا: مسلك الارتقاء في الحجاج :بعد أن لفت أنظار قومه إلى ما يدعو إليه موسى عليه السلام، واطمأن إلى استماعهم وعدم اعتراضهم، ارتقى إلى التصريح بتصديق موسى عليه السلام بعلة أنه جاء بالبينات، أي الحجج الواضحة بصدقه، وإلى التصريح بأن الذي سماه الله في قوله:﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ هو رب المخاطبين فقال:﴿رَبِّكُمْ﴾ ، أي فكيف يسوغ لكم أن تقتلوا رجلا ما زاد على أن قال ربي الله، وجاء على ذلك بالدلائل الواضحات؟!! [2] .

ثالثا: إيهام الشك بموسى عليه السلام :ولئلا ينكشف حاله، ويظهر لهم إيمانه قبل أن يحقق ما يصبو إليه من الدفاع عن موسى عليه السلام، أردف قوله هذا بما حكاه الله تعالى عنه حيث قال ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[غافر28] ، مما جعلهم يفهمون أنه يشك في أمر موسى، ولم يكن من أتباعه، قال الإمام الزمخشري رحمه الله

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق .

[2] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق.

تعالى:فإن قلت لم قال﴿ بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ ﴾ وهو نبي صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ قلت: لأنه احتاج في مقاولة خصوم موسى إلى أن ويداريهم ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال:﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ ﴾،ولكن هذه الجملة المباركة قد اشتملت على أمر عظيم، وخطر جسيم، وهو احتمال كونه صادقا فيما يدعو إليه، مما سيعرضهم إلى عذاب الله الذي يدعو إليه، بما لا قبل لهم به، ففيه مع إظهار الإنصاف.[1]. وهو بهذا الموقف كان على غاية من الصدق والإنصاف كما تقدم عن الطنطاوي ، ثم يفرض لهم أسوأ الفروض، ويقف معهم موقف المنصف أمام القضية، تمشيا مع أقصى فرض يمكن أن يتخذوه:﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ ﴾ وهو يحمل تبعة عمله، ويلقى جزاءه، ويحتمل جريرته، وليس هذا بمسوغ لهم أن يقتلوه على أية حال! وهناك الاحتمال الآخر وهو أن يكون صادقا، فيحسن الاحتياط لهذا الاحتمال، وعدم التعرض لنتائجه:قوله تعالى ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ ﴾، وإصابتهم ببعض الذي يعدهم هو كذلك أقل احتمال في القضية، فهو لا يطلب إليهم أكثر منه، وهذا منتهى الإنصاف في الجدل والإفحام . حقا إنه أسلوب رائع من أساليب الدعوة الناجحة، لم يكن لشك منه في رسالة موسى عليه السلام وصدقه[2]

رابعا : **إظهار النصح لقومه** :وفي الوقت الذي يحذر مؤمن آل فرعون قومه مما هم فيه، كان صادقا في نصحه لهم، ولذا فإنه لم يدخر شيئا يمكن أن يقوله لهم طمعا في هدايتهم إلا قاله، وقد سلك في ذلك مسلك الرحمة بهم والشفقة عليهم، مصدرا كلامه بما حكاه الله تعالى بقوله: ، ونجد أن هذا النداء قد تكرر في الحوار ست مرات، في أصناف من الحوار متنوعة، ﴿ يَٰقَوۡمِ

[1] محمد سيد طنطاوي ،التفسير الوسيط للقرآن الكريم ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة 1998 ج12 ،ص285.

[2] سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن ،ط17،دار الشروق . بيروت ـالقاهرة 1412 هـ ،ج5 ، ص 3079

لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ [غافر 29]، ويتجلى النصح في إشراك نفسه معهم بقوله:﴿يَنصُرُنَا ﴾و﴿ جَآءَنَا ﴾، ولذا فقد وقع التحذير والتخويف موقعه من نفوسهم، فلم يرتابوا في أمره، ولم يشكوا في أنه منهم وعلى دينهم، غير أنه يلفت نظرهم إلى أن ما هم فيه من القهر والغلبة والتمكين في الأرض، لا يمنعهم من بأس الله إن قتلوا موسى أو ألحقوا به الأذى، بمجرد أنه يدعوكم إلى الله الذي لا يقف شيء .[1]

ومما يدل على عدم ارتيابهم في أمره أن فرعون مشى معه في المحاورة، مغترا بنفسه مظهرا سداد رأيه فقال ما حكاه الله تعالى عنه ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ويسترسل الذي آمن في الحوار، على طريق النصح وإرادة الخير، معرضا عما قاله فرعون، غير مصطدم معه في الجدال فيقول ما حكاه الله سبحانه و تعالى عنه :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[غافر/ 30-34]إنه خطاب هادئ لين، ونداء صادق محبب، وإشفاق وتودد ينبعث من نفس مؤمن ذاق حلاوة الإيمان، فهو يريد لقومه أن يذوقوها، ولذا فهو يبذل جهده في النصح والتذكير والتحذير، وتأمل قوله: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ ﴾[غافر 32-33]؟ إن هذا المسلك في الحوار مسلك مهم جدا، لأن المحاور الصادق لا يقصد من حواره الغلبة والانتصار على الخصم، بقدر ما يقصد استجابة الخصم وهدايته، وقد جمع هذا الرجل المؤمن في نصحه بين التذكير بما مضى والتذكير بما هو آت، فيوم الأحزاب معلوم لديهم، ليس بخاف عنهم، والموت حقيقة لا ينكرونها، ولكن الذي ينكرونه هو ما بعد الموت، وهذا هو الذي يريد

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق.

أن يصل بقومه إلى الإيمان به، إنه يوم ينادي بعضهم بعضا من شدة الهول. والرجل وإن بلغ غاية النصح والشفقة في حواره مع قومه، إلا أنه لا يجانب الحقيقة التي يلمسها منهم، وهي شدة عنادهم وإصرارهم على تكذيب موسى عليه السلام، وحينئذ فهو يذكرهم بما كان عليه أسلافهم من تكذيب الأنبياء، وأنهم من ذرية قوم كذبوا يوسف عليه السلام لما جاءهم بالبينات، فتكذيب المرشدين إلى الحق شنشنة معروفة في أسلافهم[1].

ويتابع الذي آمن نصحه لقومه طمعا في هدايتهم، فيقول ما حكاه الله تعالى عنه:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾[غافر/38-40] ،وهكذا يسترسل الذي آمن في إسداء نصحه وتقديم وصاياه، وهو وإن لم يراجع فرعون فيما قال، ولم يصطدم معه في الحوار، إلا أنه لا يغفل الرد عليه بأسلوب غير مباشر، فيبين أن سبيل الرشاد إنما هو فيما جاء به موسى عليه السلام، لا فيما ادعاه فرعون، ولا أدل على ذلك من أن فرعون يدعوهم إلى حطام الدنيا الزائل، بينما يدعوهم موسى إلى دار القرار!! ولا يقف عند هذا الحد، إنما يكشف لهم عن حقيقة المآل، ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾[غافر/40]، ويلاحظ هنا أن الرجل المؤمن لم يغفل ذكر الإيمان مع العمل الصالح، إذ هو شرط في قبوله، فما لم يؤمنوا بموسى عليه السلام، [2].

المسلك الخامس: الجهر بالإيمان، والكشف عن الحقيقة: وبمزيد من الاهتمام بقومه، وفرط الشفقة عليهم، يستأنف ذلك الرجل المؤمن حواره مع قومه بهذا النداء الممتزج بالحرص والاعتناء، المعلن فيه عن إيمانه بالعزيز الغفار سبحانه وتعالى، وبيان الفارق الكبير بين ما يدعوهم إليه وما يدعونه إليه، فشتان بين من يدعو إلى الجنة ومن يدعو إلى النار، وشتان بين

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق.

[2] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق

من يملك الحجج والبراهين، ويدعو إلى عبادة من له الكمال المطلق، فهو وإن كان عزيزا لا يغلب، قادرا لا يغالب، فهو غفار يغفر كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة سبحانه وتعالى، شتان بين من يدعو إلى هذا الإله ومن يدعو إلى عبادة الأوثان التي ليس لها دعوة مستجابة فيقول تعالى﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [غافر41-43]، إذ الشفقة والرحمة التي سلكها في حواره معهم، لا تعني المداهنة والاستسلام لهم[1]فيقول الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: كرر ذلك الرجل المؤمن دعاءهم إلى الله وصرّح بإيمانه، ولم يسلك المسالك المتقدمة من إيهامه لهم أنه منهم[2].

المسلك السادس، الصلابة في الحق، والثبات على المبدأ:ويختم مؤمن آل فرعون حواره مع قومه، بهذا الإعلان المنبئ عن قوة الإيمان والصلابة فيالحق، والثبات على المبدأ، غير عابئ بما تكون عليه النتيجة، ما دام ذلك في سبيل من آمن به وتوكل عليه، فيصدع بما حكاه الله تعالى عنه بقوله﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾[غافر/ 44]، ومساق هذه الجملة كما يقول ابن عاشور مساق الانتصاف منهم لما أظهروه له من الشر، يعني: أني أكل شأني وشأنكم معي إلى الله، فهو يجزي كل فاعل بما فعل، وهذا كلام منصف، فالمراد بـ﴿أَمْرِيٓ ﴾شأني ومهمّي، فكانت النتيجة كما قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾[غافر/ 45]فقد حفظ الله الرجل المؤمن من قومه لما أرادوا به الشر، ومكر بهم حين أرادوا أن يمكروا به، فنزل بهم

---

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق.

[2] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير،ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، 1414 هـ ،ج4،ص 566.

العذاب، وأقر الله عينه بإهلاك أعدائه ونصرته ونجاته، ونجاة أحبائه فسلم هو مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل وهذا فيه بشارة خير للصادقين.[1]

المطلب الثاني : أساليب حوار مؤمن آل فرعون

من المعلوم أن للحوار أساليب عديدة ،استخدم كثير منها في القرآن الكريم منها ضرب الأمثلة والوعظ والتذكير والإفحام والترغيب والترهيب وطلب الدليل وإستخدامه وإيراد القصص ونحوها.

والحوار القرآني في قصة مؤمن آل فرعون تضمن الأساليب التالية من بينها مايلي :

الترهيب:حيث يتبين ذلك في قوله تعالى ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ فلما بين لهم ضلال المسرف الكذاب ،ذكر أسباب ذلك وهي أن الإسراف والكذب من أقوى دعائمه ودوافعه الإغترار بالملك والسلطان والقوة ،فأخبرهم بأن ذلك الملك لهم اليوم على الناس ،وهم ظاهرون على موسى عليه السلام وبني إسرائيل والمؤمنين لكن الأيام دول وذهاب السلطان أمر محتمل، فمن ينقذهم وينصرهم من أخذ الله وعقابه لهم على كفرهم .

– **ضرب الأمثلة:** لأقوام كذبوا رسلهم وحاربوهم رغم أنهم كانوا يدعونهم إلى الهدى والرشاد، ولكن هؤلاء الأقوام اتبعوا كبرائهم فأغووهم فأهلكهم الله، أنذرهم مؤمن آل فرعون من سوء العاقبة ودلهم إلى الابتعاد عن تكذيب الرسل ومحاربتهم خوفاً عليهم وإنقاذاً لأنفسهم.

– **التودد واللين:** وذلك في مخاطبته لهم بقوله "يا قوم.. " والتي تكررت خمس مرات، فإن كان الحوار وضرب الأمثلة هما المدخل العقلي فإن التودد واللين هما مدخل القلب ومفتاحه، لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ فمهمتنا كدعاة هي أن نفتح القلوب لا أن نغلقها، فننسى ونصفح ونتنازل عن بعض حقوقنا في سبيل كسب القلوب فهو أولى من كسب المواقف كما يقال كما هو موضح في هذه الآية.

[1]حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،المقال السابق.

- **التحفيز والتشويق**:وذلك نهم إذا أطاعوه واتبعوا طريق النجاة التي يدعوهم إليه من عبادة الله وحده وإتباع نبي الله فإن جزاؤهم الجنة وهي النعيم الخالد ودار القرار والفوز العظيم.[1]

-إن قوة الأسلوب البياني في حوار مؤمن آل فرعون، وسلوك أفضل طرق الحوار وأمثلها في ذلك، لدليل صادق على أن الحق في نفسه كان على غاية من الوضوح.

-من قوة الأسلوب البياني في حوار الرجل المؤمن أنه أبهم سبيل الرشاد، حيث قال ما حكاه الله تعالى عنه﴿ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ فلم يبين أي سبيل هو؟ ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها، لأن الإخلاد إليها أصل الشر كله، ثم ثنى بتعظيم الآخرة، والإطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن المستقر، ثم ثلث بذكر الأعمال سيئها وحسنها، وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف، وينشط لما يزلف، فكأنه قال . كما يقول ابن القيم .: سبيل الرشاد هو الإعراض عن الدنيا، والرغبة في الآخرة، والامتناع عن الأعمال السيئة خوف المعاقبة عليها، والمسارعة إلى الأعمال الصالحة، رجاء المجازاة عليها وطلب الثواب من الله تعالى [2].

انتهى الرجل المؤمن من دعوته للناس ومجادلتهم بالحق مفوضاً أمره لله، متمنياً لهم النجاة والخير، لم يكن فحاشاً ولا داعياً عليهم.. مكروا به فوقاه الله وكادوا له فحفظه الله. وإن الدعوة إلى الله عز وجل لهي من تمام الإيمان، والقيام بها في زمن الطغاة من صفات الرجال الذين يحبون الله ويحبهم،الذين يحققون مراد الله في إصلاح البشرية وهدايتها ومنع الإفساد المادي والمعنوي في هذه الأرض.[3]

---

[1]مؤمن آل فرعون رجل الدعوة ،ل: سامح حجازي ،أخذناه 2018/4/23/،على الساعة 14:12من موقع مدونات الجزيرة عل الشبكة العنكبوتية .http://blogs.aljazeera.net/blogs/

[2]حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق .

[3]مؤمن آل فرعون رجل الدعوة ، سامح حجازي، مرجع سابق .

المبحث الثالث

العبر من مجادلات مؤمن آل فرعون

المطلب الأول :الفوائد الأخلاقية المستنبطة

المطلب الثاني :الفوائد العقدية المستنبطة

وبعد هذا العرض الشامل، والبحث المتنوع في آيات حوار مؤمن آل فرعون مع قومه، نذكر أهم ما يستفاد من الفوائد والعبر النافعة الهادفة، فمن أبرز ذلك:

المطلب الأول :الفوائد الأخلاقية المستنبطة

-إن هذا الرجل المؤمن قد قام بواجب الدعوة إلى الله، وسلك الطريق الأمثل في ذلك، حيث إنه لم يكن متقوقعا على نفسه، ولم يكتف بحصول الخير لها، ولكنه حرص على هداية قومه، وبذل جهده في نصحهم، وسلك معهم السبيل الأمثل، تماما مثل ما قال تعالى﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل 125]، وبذلك برئت ذمته، وأدى ما لزمه من ذلك، وفي هذا دعوة صريحة للمؤمنين للقيام بهذا.

-الانتصار للحق بقوة، دون نظر إلى العواقب المترتبة على ذلك، وذلك منبئ عن قوة الإيمان، فإن الرجل المؤمن لما علم أن القوم قد قرروا قتل موسى عليه السلام، لم يستطع أن يسكت وهو في حاشية فرعون، دون أن يستخدم نفوذه، وينطلق من مكانته التي تبوءها بينهم، كما سبق بيانه في آيات الحوار، وفي هذا حث لأهل الإيمان في كل زمان ومكان، لأن يواصلوا السير في هذا الطريق في الحالات المماثلة التي تعترض طريقهم في أي حين.[1]

-لقد نجح الرجل المؤمن في كف فرعون عن قتل موسى عليه السلام، وتسكين غضبه، وإشغاله بالحوار عن تنفيذ ما عزم عليه من سفك الدم الحرام، وتعدّ هذه النتيجة من أهم النتائج إن لم تكن أهمها على الإطلاق، ولذا فقد ابتدأ حواره بها حيث قال في الآية الكريمة.﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾؟!! وهذا النجاح إنما هو فضل من الله يؤتيه من يشاء، إذ لا يلزم أن يتحقق دائما في كل دعوة لحكم يعلمها الله تعالى، قد يكون منها نيل الشهادة لمن شاء الله أن يكرمه بها، كما قال الله

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق.

تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾، والمؤمن بعد أن يؤدي ما عليه لا يسأل عنالنتيجة..[1]

-إقامة الحجة على قومه، وقطع أعذارهم وادعاءاتهم، كأن يقولوا ما جاءنا من نذير، أو لم يقم أحد بتحذيرنا من خطر التواطؤ على قتل موسى عليه السلام،أو نحو ذلك من التعلقات الفارغة، التي يتعلل بها أمثال هؤلاء، وذلك كما قال تعالى: ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾.

-تسديد الله تعالى للرجل المؤمن، وهدايته إلى أفضل سبل الحوار، ونصره على قومه بالحجة والبرهان، وذلك شأن الله تعالى وعادته مع أوليائه الصادقين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ ،فالمؤمن الصادق غالب بحجته أبدا، والعاقبة الحميدة له على الإطلاق.

-حفظ الرجل المؤمن من قومه لما أرادوا به شرا، فقد مكر الله بهم حين أرادوا أن يمكروا به، فنزل بهم العذاب، وسلم هو مع موسى عليه السلام وبني إسرئيل، كما قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾، وهي بشارة للصادقين، كما قال تعالى﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

المطلب الثاني : الفوائد العقدية المستنبطة

- أن الداعية إلى الله تعالى إذا بذل جهده في النصح، وصدق في الإرشاد، فقد أدى ما عليه، ولا يضيره أن لا يستجيب أحد لدعوته، فإن فرعون وقومه لم ينتفعوا من نصح هذا الرجل المؤمن بشيء، بدليل أن الله تعالى قال في نهاية الحوار: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾.

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق.

– عظيم فضل كلمة الحق، وأنها عند الله تعالى بمكان، فقد رأينا كيف أن الله عز وجل أثنى على هذا الرجل المؤمن، فجعله في كتابه العزيز ، وأثبت شخصيته في المصاحف.[1]

–من فوّض أمره إلى الله تكفل الله تعالى بالانتصار له، فإن موسى عليه السلام ما زاد في دفع فرعون على الاستعاذة بالله، فقيض الله تعالى ذلك الرجل المؤمن، حتى ذب عنه تلك الفتنة والشر، قال الرازي رحمه الله تعالى: ولقد جربت في أحوال نفسي، أنه كلما قصدني شرير بشر ولم أتعرض له، وأكتفي بتفويض الأمر إلى الله تعالى، فإنه سبحانه يقيض أقواما لا أعرفهم شر .

–تقديم الكاذب على الصادق في قوله: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾ يناسب.كما في محاسن التأويل. تقديم ذلك في قوله تعالى﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ ﴾ وإن كان الصادق هو يوسف دونها، لرفع التهمة وإبعاد الظن، و إدلالا بأن الحق معه، ولا يضر التأخير لهذه الفائدة، وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة ما في قصة يوسف عليه السلام مع أخيه، إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه.[2]

[1] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع سابق.

[2] حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،مرجع نفسه

خاتمة

وبعد هذا العرض لأهم الجوانب العقدية والقيم الحوارية من مجادلات مؤمن آل فرعون، نكون قد أتينا على ما قصدناه من هذه الدراسة ،سائلين المولى عز وجل أن تكون قد كللت بالتوفيق والسداد، وأن تكون خالصة لوجهه الكريم وفيما يأتي نخلص إلى أهم النتائج والتوصيات.

1- يعتبر الحوار ركيزة أساسية من ركائز المنهج القرآني في الاستدلال على قضايا العقيدة، استخدمه القرآن مصدرا للتوجيه والوعظ ووسيلة لتثبيت الإيمان في القلوب وربطها بخالقها ، وأداة لإيقاظ العقول وحثها على النظر والتفكر للوصول إلى الحق والإلتزام به عن بينة وإقناع.

2- ينبغي سلوك سبيل الحكمة في الدعوة إلى الله، مع مراعاة مقتضى الحال، من الكتمان أو الجهر أو اللين أو الشدة كما تبين في حوار مؤمن آل فرعون.

3- بينت الدراسة الترغيب في دعوة الكفار إلى التوحيد وإقامة الحجة عليهم وإثبات ضلالهم .

4- من فقه الدعوة التلطف واللين في مخاطبة المدعو بالعبارات التي تقرب المسافة بين الداع والمدعو فقد إبتدأ الرجل المؤمن في خطابه مع قومه بلفظ قوله تعالى ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[غافر 41].

5-الجوانب العقدية من مجادلات مؤمن آل فرعون وطريقة عرضها لقضايا العقيدة وقيم الإيمان يجعلنا نكرر نداء من سبقونا ونوصي بالضرورة إلى الرجوع بالقرآن الكريم و إستلهام منهجه في تقرير قضايا العقيدة وكيفية عرضها على المخاطبين بالوحي ومخاطبتهم بها .

6-مجادلات مؤمن آل فرعون منهل يستفيد منه طلاب العلم والدعاة ،فكلها عبر ودروس تضمنت أبعاد ودلالات متنوعة.

وفي الأخير نحمد الله أن وفقنا لإتمام هذا البحث ونسأله سبحانه أن يكون خالصا لوجهه الكريم فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمنا ومن الشيطان وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،سيدنا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

فهرس قائمة المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص

ثانيا: المصادر والمراجع:

- ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) مفاتيح الغيب /التفسير الكبير، أبو دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 3- 1420 هـ،ج27.
- أحلام سعيد باحمدان ،الدعوة في سورة غافر ، ماجستير ،كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ،1989م.
- خالد إبراهيم حسب الله ،القيم الحوارية والجوانبالعقدية في مجادلاتالخليل،.ط2008/1م.
- خصائص الحوار في القرآن الكريم ، ، بحوث ومقالات ،جامعة البصرة ،ط1 ،2013م.
- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)/ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر ،تونس 1984،ج 24.
- محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم،ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة 1998 ج12.
- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير،ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414 هـ ،ج4
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن ،ط17،دار الشروق . بيروت ـالقاهرة 1412 هـ .
- د.سمير داود سلمان ،الحوار في القرآن الكريم ،معن محمود عثمان ضمرة، ماجستير، كلية أصول الدين ، جامعة النجاح الوطنية ،فلسطين 2005.

ثالثاً: مواقع **الانترنت** :

- حوار مؤمن آل فرعون مع قومه ،موضوع لم يذكر اسم صاحبه ، أخذناه 2018/04/20على الساعة 14:20من موقع المنتدى العالمي للوسطية على الشبكة العنكبوتية http://www.wasatyea.net/?q=ar/content

مؤمن آل فرعون رجل الدعوة ،ل: سامح حجازي ،أخذناه 2018/4/23/،على الساعة 14:12من موقع مدونات الجزيرة عل الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي .http://blogs.aljazeera.net/blogs.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــــة	رقمـــها	الصفحة
الكهف	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا .....شَيْءٍ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾	54	هـ
النحل	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ .....وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	125	هـ
المائدة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾	1	2
غافر	﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ .....إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	29	5
غافر	﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾	28	10
الحاقة	﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ..... لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾	45-44	10
يوسف	﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ .....مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾	35-34	11
يوسف	﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾	54	13
يوسف	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾	45	13
يوسف	﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	55	13
يوسف	﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ... أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾	29	15-14
يوسف	﴿ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا .....ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾	40-39	15
غافر	﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ .....ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾	30-29	15
عبس	﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾	34	16
الإسراء	﴿ إِنَّ هَٰذَا .....أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾	9	18
غافر	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ....هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	28	18
غافر	﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا.....ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾	29	19

غافر	﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ .....ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾	29	21
غافر	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ..... مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ﴾		21
غافر	﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ .....مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖ ﴾	32-31	22
غافر	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ ...ٱتَّبِعُونِ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	40-38	24-23
غافر	﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ .....هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾	43-41	24
غافر	﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ..... سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾	45	28
غافر	﴿ فَٱنتَقَمۡنَا وَكَانَ .....نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	48	28
يوسف	﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٞ ....وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	27-26	29

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
ملخص باللغة العربية	
ملخص بالغة الانجليزية	
مقدمة	أ – و
المبحث التمهيدي: مصطلحات ودلالات	5-1
المطلب الأول :تعريف العقيدة والحوار والجدال	2
المطلب الثاني :التعريف بمؤمن آل فرعون	5
المبحث الأول :الجوانب العقدية من مجادلات مؤمن آل فرعون	15-7
المطلب الأول : الإلهيات.	8
المطلب الثاني : النبوءات	11
المطلب الثالث : الغيبيات	15
المبحث الثاني :القيم الحوارية من مجادلات مؤمن آل فرعون	24-16

المطلب الأول :مسالك حوار مؤمن آل فرعون	19
المطلب الثاني :أساليب حوار مؤمن آل فرعون	24
المبحث الثالث : العبر والحكم من مجادلات مؤمن آل فرعون .	26- 28
المطلب الأول : الفوائد الأخلاقية المستنبطة	27
المطلب الثاني : الفوائد العقدية المستنبطة	28
خاتمة	30
الفهارس العامة	32-35
المصادر والمراجع	33
فهرس الآيات القرآنية	35
فهرس الموضوعات	35